

تفسير ابن كثير

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ^ط
وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ^ج وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ^ج
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

وقوله : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء) قال الإمام ابن أبي حاتم : أنبأنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب إلي ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق . عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان - وذكر قصة بني أبيرق ، فأنزل الله : (لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء) يعني : أسير بن عروة وأصحابه . يعني بذلك لما أثوا على بني أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان في كونه اتهمهم ، وهم صلحاء براء ، ولم يكن الأمر كما أنهوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ; ولهذا أنزل الله فصل القضية وجلاءها لرسوله صلى الله عليه وسلم . ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال ، وعصمته له ، وما أنزل عليه من الكتاب ، وهو القرآن

، والحكمة ، وهي السنة : (وعلمك ما لم تكن تعلم) أي : [من] قبل نزول ذلك عليك ، كقوله : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب [ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور] ([الشورى : 52 ، 53] وقال تعالى : (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) [القصص : 86] ؛ ولهذا قال تعالى : (وكان فضل الله عليك عظيما)